Indications of Clothing from the Perspective of Islamic Culture

Mohammad Majlli Rababa'h[(1)*]

(1) Department of Fundamentals of Religion, Faculty of Sharia, University of Jordan, Amman - Jordan.

Received: 31/01/2024
Accepted: 29/04/2024
Published: 15/09/2024

* *Corresponding Author:*
m.rababaa@ju.edu.jo

DOI:https://doi.org/10.59759/art.v3i3.680

Abstract

The research aimed at revealing the semantic indications of words talking about clothing in the Holy Qur'an and the Sunnah of the Prophet, in a way similar to what is known as (body language), and applying these indications within the frame of Islamic sociology. The current paper studied these indications , then analyzed the meanings to extract what they hold of semantic indications when gathering with others, represented by the clothes for Friday prayer, and leading prayers, clothe of elderly people, widowed women, the vulgar, borrower of an attire, the caller man, devotion ritual for Pilgrim or Umra, the visitor and the visited. The research concluded that each dress has its indications which should be adjusted in accordance with the Qur'an and Sunnah and right values. The research recommends spreading these indications in society and educating individuals how to deal with any new issue, as clothes are not just a piece of fabric, but rather, it is the identity of a society, and the symbol of its distinction and independence.

Keywords: Rhetoric of the Qur'an, Jurisprudence of the Sunnah, Fashion, Clothing.

دلالة اللباس من منظور الثقافة الإسلامية

محمد مجلي ربابعة[1]

(١) قسم أصول الدين، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، عمان – الأردن.

ملخص

هدف البحث إلى الكشف عن الدلالة الإشارية للألفاظ الدالّة على اللباس في القرآن الكريم والسنّة النبويّة، على غرار ما يُعرف (بلغة الجسد)، وتوظيفها بما يتناسب مع علم الاجتماع الإسلامي، فقام باستقرائها، ثمّ تحليل جمع المعاني الخاصّة بها، واستنباط ما تحمله من الإشارات عند الاجتماع بالآخرين، والتمثيل لذلك بملابس عند حضورهم صلاة الجمعة، وإمامتهم للكبار في الصلاة، وملابس الكبار، مثل: المرأة الحادّة، والمتبذّلة، والمستعيرة للثوب، والرجل الداعية، والمحرم بحجّ أو عمرة، والزائر والمزُور، وتوصّل إلى أنّ لكلّ ثوبٍ دلالته، والتي يجب ضبطها بما يتوافق مع القرآن والسنة، والقيم الصحيحة. وأوصى بنشر تلك الدلالات في المجتمع، وتوعية أفراده بكيفية التعامل مع كل جديد؛ لأنّ اللباس ليس مجرّد قطعة من القماش، بل هو هويّة مجتمع، وعنوان تميّزه واستقلاله من التبعيّة.

الكلمات المفتاحية: بلاغة القرآن. فقه السنة، الموضة، اللباس

المقدمة:

الحمد لله الذي ميّز الإنسان باللباس الذي يواري به سوأته، ويُجمّل به مَظهره، ويقضي منه حاجته؛ ليحمى به نفسه الحرّ والقرّ والبأس، ومنحه من العلم ما يُساعده على تكييف الملابس بالطريقة التي تتناسب مع أحواله، فللشتاء لباسه، وللصيف لباسه، وللحرب لباسها، وللأفراح أو الأتراح لباسها، ولكلٍّ من الذكر والأنثى لباسه، وهذا يمثّل في علم الدلالة: الدلالة الرأسية (نهر، ٢٠١١)[1]، وهي كلٌّ متكامل مع الإنسان، تصارع لإثبات موقعها في المكان أو الزمان أو هما معًا (بسناسي، ٢٠١٢).

وعندما يصير اللباس صنعة، تعتريها المنافسة بين صنّاع الموضة، فإنّ لكل نوع من الملابس سياقُه الذي يتوافق مع الأذواق والأوقات، وثقافة المجتمعات، وهذا ما أكّدته دراسة الأستاذة علية عابدين، في كتابها: دراسة في سيكولوجية الملابس (عابدين، ٢٠٠٨، ص٤٣-٥١)، فالثوب الواحد – كالدشداش مثلاً– تجد له أكثر من مظهر، كل واحد منها يدلّ على انتماءٍ لجغرافيّة معيّنة، أو فكرٍ معيّن، وبذات الوقت يدلّ على الفصل الذي يتناسب معه، فللصيف دشداش وألوان، وللشتاء كذلك، وللربيع والخريف كذلك، وللشباب وكبار السنّ أيضاً ما يناسبهم، وهذا يمثّل في علم الدلالة: الدلالة

الأفقيّة[٢]، التي سيعتمدها هذا البحث؛ للكشف عن دلالة الثياب؛ لأنّ اللباس لا تكتمل معانيه إلا على مَن يلبسه، وأقرب مثالٍ له: حين نرى فتاة تلبس لباساً يشبه لباس الشباب، أو العكس، فاللباس يعطِي دلالة على أنّ لابسَه متشبّه، أو متخنّث أو مترجّلة، ومن خلال ما تقدّم تظهر جملة من التوصيات التي يسعى البحث إلى وضعها أمام ذوي الاهتمام بمظهر المجتمع؛ لأنّه لا يمكن الفصل بينهما، وقد جمع الله تعالى ذلك بقوله: ﴿**يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ * يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآ**﴾[الأعراف: ٢٦-٢٧].

أولاً: مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في السؤال الآتي: هل وظّف القرآن الكريم والسنّة المطهّرة الألفاظ الخاصّة باللباس بما يكشف عن نفسيّة لابسه أمام المجتمع الإسلامي؟

وقد تفرّع عنه جملة من الأسئلة الفرعية على النحو التالي:

١- ما دلالة الثوب والجلباب والقميص والكساء والسربال والخمار، التي ورد ذكرها في القرآن في بيان التزام الأفراد بالقيم الإسلامية؟

٢- ما دلالة الثياب على الأطفال دون سنّ البلوغ على المكانة الدينية والاجتماعية؟

٣- ما دلالة ثياب البالغين -حتى سنّ الشيخوخة- على مدى التزامهم بالضوابط الشرعية الناظمة للمجتمع المسلم؟

٤- ما الضوابط التي ينبغي مراعاتها في: للحادّة والمتبذّلة والثوب المستعار وثوب الدّاعية والمحرم بحج أو عمرة؟

ثانياً: أهداف البحث:

١- بيان دلالة الثوب والجلباب والقميص والكساء والسربال والخمار، التي ورد ذكرها في القرآن، وتعريف المجتمع بها ليلتزمها.

٢- معرفة دلالة الثياب على الأطفال دون سنّ البلوغ على مكانتهم الدينية والاجتماعية، مع التمثيل لها.

٣- توجيه دلالة الثياب على البالغين حتى سنّ الشيخوخة، بما يتوافق مع الضوابط الشرعية الناظمة

للمجتمع المسلم، وتقديم النماذج لها.

٤- عرض الضوابط التي ينبغي مراعاتها في ثوب: الحادّة، والمتبذّلة، والثوب المستعار، وثوب الدّاعية، وثوب الإحرام للحاج أو المعتمر.

ثالثاً: أهمّية البحث:

تكمن في تقديم نموذجٍ بحثيّ يجمع بين الأصالة والمعاصرة، دون الإغراق بخلافات القدماء والمعاصرين في الأحكام الفقهيّة ذات الصلة، التي أخرجت في بعض الأحيان الموضوع عن هدفه، حتى أصبح البحث بها عبارة عن ترفٍ فكريّ، أكثر منه دعوة إلى الالتزام الشرعي.

رابعاً: الدراسات السابقة:

من خلال البحث والاستقراء، وقفت على بحث علميّ، ورسالة جامعيّة، تناول كل منهما البحث في دلالة اللباس في القرآن الكريم، بينما لم أقف على دراسة متخصصة بها في السنّة النبوية، وسأعرض ما هدف إليه البحث، ثمّ الرسالة:

١) **ألفاظ اللباس في القرآن الكريم دراسة لغوية معجميّة**، للمدرّس المساعد في جامعة البصرة: بشير سعيد سهر المنصوري، هدف البحث إلى دراسة ألفاظ اللباس الواردة في القرآن، مما هو مشتق من لفظ (لبس) أو غيره، وبيان معانيها اللغوية والمجازية، وبيان أهمّية اللباس في القرآن، مع الإشارة إلى بعض القضايا الاجتماعية المتعلقة به من دلالة الآيات نفسها؛ كالستر، والتمييز بين الحرة والأمة، ومن باب الاحتياط لأجل العفّة وتربية النشء عليها، وأشار إلى أنّ هذا الموضوع لا يمكن الوفاء بحقّه في بحث موجز، و وبدأ بالإشارة إلى أنّ مهمّة اللباس: ستر السوأة الداخلية؛ لأنّ العريّ مذموم، ولأنه فضيحة ومهانة.. وأنه لا يتناسب مع الفطرة الإنسانية، وأنّ رؤية العريّ جمالاً هو في الحقيقة انتكاس في الذوق البشري. وستر السوءة الخارجية، يكون بالخشن والغليظ من الثياب، أو ما يلبس فوق الثوب، من الدروع وغيرها، فكما أنّ فيها الزينة، فإنّها تميز بين الذكر والأنثى، أمّا فيما يتعلّق بالدلالة الاجتماعية، أو السياق الثقافي، فله أثر في فهم الآية في سياقها، وضرب لذلك مثالا في قوله تعالى: {وثيابك فطهر}، أنّ معناها المتبادر إلى الذهن هو: حمايته من أن يجرّ على الأرض فتصيبه النجاسة، وفي هذا مخالفة لعادة العرب، ودلالة الخمار أو الجلباب في عرف المجتمع: للتفريق بين الحرة والأمة، حتى تتقطع أعذار الفساق، الذين كانوا يتعرّضون للإماء، وعندما

عرض للدلالة السياقية لآيات اللباس، ذكر أنّها تجمع بين الغرض الذي سيقت له؛ من الستر والتجمّل، وبين التعبّد، وأنّها تدفع أفراد المجتمع إلى التحفّظ من كل ما يثير الشهوات والغرائز، (المنصوري، ٢٠٠٨).

ويتميّز بحثي في أنّه يضبط دلالة كلّ لفظ بما قام فيه من المعنى، بحيث يتمّ تحرير معنى المفردة، ثم مطابقتها مع الهدف الذي سيقت له، بما يؤكّد دقّة التعبير القرآني عن المعنى القائم في ذلك اللفظ، بينما كانت دراسة الباحث في فلسفة اللباس ذاته، دون دلالة مفرداته.

٢) **معنى لفظ لباس في القرآن (دراسة دلالية)**، رحمة بايو فراتما، هدفت الدراسة إلى بيان معنى اللباس في السياق القرآني، المأخوذة من الجذر اللغوي (لبس)، فحصل من ذلك: ستة معانٍ: الثياب التي تلبس، السكن، الستر، العمل الصالح، الشك، الإحاطة والذوق، ثم تناولت فوائد اللباس من ستر العورة، وحماية جسم الإنسان من الحر والبرد، وكونه دليلا على الهويّة، (فراتما، ٢٠١٩).

لم تعْدُ هذه الرسالة – فيما يتعلّق بدلالة اللباس أن تكون دراسة تفسيرية، وقد وقفت على تعليق مختصر في نهاية الرسالة أنه يجب مراعاة القيم الأخلاقية للتعاليم الإسلامية، من ستر العورة، والدلالة على الهوية.

وما يتميّز به بحثي أنّه عرّج على الألفاظ الأخرى الدالة على اللباس في القرآن، وصنّفها حسب ما دلّت عليه باعتبار اللابس لها، ثم أضاف إلى ذلك ما ورد في السنّة، مما له علاقة بالمادة التي يصنع منها، واللون الذي تُصبغ فيه، ودلالة ذلك كلّه – حال لبسه– على الفرد ضمن مجتمعه الذي يكون فيه.

خامساً: منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث الاستعانة بالمناهج التالية: **المنهج الاستقرائيّ:** لكل ما وقع تحت مفهوم (الملابس) في القرآن والحديث الشريف، وكذا الاطلاع على جملة من التفاسير وشروح كتب السنّة النبوية، والتاريخ واللغة، ثمّ **المنهج التحليلي الاستنباطي**، والذي من خلاله أمكن ضبط جملة الأمور التي تعلّقت بها دلالة الملابس في المجتمع الإسلامي، **والمنهج الوصفي:** والذي من خلاله يستطيع المسلم أن يتعامل مع الوافد من الموضات التي تجدّد مع الزمان والمكان.

وقد جاءت خطة البحث على النحو التالي:

المقدمة، وفيها مشكلة البحث وأهدافه وأهميّته ومنهج البحث فيه والدراسات السابقة.

المبحث الأول: التعريف بدلالات الملابس الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية

المطلب الأول: دلالة الثوب

المطلب الثاني: دلالة الجلباب.

المطلب الثالث: دلالة القميص.

المطلب الرابع: دلالة الكساء.

المطلب الخامس: دلالة السربال

المطلب السادس: دلالة الخمار.

المطلب السابع: دلالة اللباس في السنة النبوية.

المبحث الثاني: دلالة الثياب على الأطفال دون سنّ البلوغ

المطلب الأول: التجمّل لحضور الجماعات: قصة الحسن والحسين رضي الله عنهما.

المطلب الثاني: التجمّل لإمامة الناس في الصلاة: قصة عمرو بن سِلْمَة الجِرميّ الذي أَمّ قومه وهو ابن ست أو سبع سنين

المبحث الثالث: دلالة الثياب على البالغين حتى سنّ الشيخوخة

المطلب الأول: ضوابط الثياب في الثقافة الإسلامية

المطلب الثاني: دلالات ثياب الحادّة، والمتبذّلة، والثوب المستعار، وثوب الداعية

الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات

المبحث الأول:
التعريف بدلالات الملابس الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية

يتناول هذا المبحث الأسماء الخاصة بالثياب في القرآن الكريم، فيُعرّف بدلالتها حين تُلبس، وهي ستة أسماء، وعقدتُ لكلّ واحدٍ منها مطلبًا، ثمّ المطلب السابع لدلالة الملابس في السنة النبوية

المطلب الأول: دلالة الثوب.

أصل الثَّوْب: "يرجع إلى الغَزْل الذي قدّر منه ذلك اللباس" (الأصفهاني، ١٤١٤هـ، ص١٨٠)، وهو الذي يتبادر للذهن، ثمّ تكون له مسمّيات أخرى تتناسب مع سياق الكلام، (ابن سيدة، ١٩٩٦)، وتكنّي

به العرب عن العفّة والطّهْر، (ابن منظور، ٢٠١٤١٤هـ، وابن سيدة، ٢٠٠٠)، وهذا يعمّ كلّ ما يظهر للعين من اللباس، مثال ذلك: رثاثة ثياب الفقير، فهي تشير إلى ما لحقه من أثر الحاجة والضرّ، (الطبري، ٢٠٠١)، ويمثّل هذا في علم الدلالة: دلالة المطابقة والالتزام(٣).

وأمّا دلالة التضمين فأكثر ما تظهر في حال التقنّع بالثياب كما ذكر الله تعالى عن كفار قريش: ﴿**أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ**﴾[هود: ٥]، إذا رأوا النبيّ ﷺ، وقال نوح عليه السلام: ﴿**وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ**﴾ [نوح: ٧]، فدلّ هذا الفعل: أنّهم لا يريدون رؤيته ولا سماع مواعظه.

ومثله في التضمين: وضع الثياب وقت الظهيرة، للدلالة على الخلوّ للحاجة الخاصة، وكذلك وضع كبيرات السنّ ثيابهنّ، قال تعالى: ﴿**وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ**﴾[النور: ٦٠]، فهذه الحالة تتضمّن كلامًا، مفاده: أنّ هذه المرأة: لا تشتهي الرجال، وتحسبهم كذلك، وقريبٌ منه: عدم اهتمام المرأة بثيابها في حضرة زوجها – التبذّل – فكأنّها تخبر بالعلاقة الفاترة بينهما (البخاري، ١٤٢٢هـ).

المطلب الثاني: دلالة الجلباب.

الجلباب مأخوذ من الفعل الرباعيّ (جلبب)، وأصله الفعل الثلاثيّ (جلب): الذي يدور حول "إلحاق شيء بمكانٍ أو مقرٍّ غريب عنه، يلزمه، مع اتساع في ذلك، أو كثاقة ما" (إبراهيم، ٢٠٠٢، ص١١٤)، وهو بهذا المعنى يدلّ أنّ المرأة قد بلغت في الستر – إذا خرجت من بيتها– أن لا يُرى منها شيء من أعلى رأسها إلى أخمص قدمها (جبل، ٢٠١٠)، وكأنّ الجلباب حارسٌ يحوطها من الجهات كلّها، ويقول للجميع: هي في حفظي وحراستي، وحذار من الاقتراب، فأول كلام الجلباب: أنّ التي تلبسه ليست أمة، بل حرّة (الهروي، ١٩٩٩)، وهو ما نصّ عليه القرآن الكريم بقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ**﴾[الأحزاب: ٣٣]، وهو أيضاً: يواسي المرأة، ويحثها على ممارسة حياتها خارج البيت بجدٍّ ونشاط، كما أنّه يجعلها قريبة من الذين يؤمنون بما آمنت به من الطهر والعفاف، بحيث يجمع ما بين الجوهر والمظهر، (عابدي، ٢٠٠٨، ص٢٠٠٩، ٢٢٠–٢٢٣ باختصار).

المطلب الثالث: دلالة القميص.

الْقَمِيصُ هو: ما نطلق عليه هذه الأيام اسم "الدشداش"، ويختلف تفصيله حسب المجتمعات، (إبراهيم، ٢٠٠٢)، ويطلق عليه في لباس النساء: الدرع، (نكري، ٢٠٠٠، ٣/٩٠).

وأوّل دلالة للقميص: أنّ صاحبه بعيدًا عن التكلّف، آمناً على حاله، مؤمّنًا لغيره، أو أنّه مسلمٌ، لا يؤذي بلسانه ولا بيده، وأفضل ما يُمثَّل به لذلك: قميص يوسف عليه السلام، في أحواله الثلاثة التي وردت في القصّة القرآنية، حيث دلّ كل منها على شيء دلالة مطابقة وتضمين والتزام، فالأول: لم يكن ممزّقًا، فدلّ على كذب الإخوة بأنّ الذئب قد أكله، والثاني: كان مقدوداً من الخلف، فدلّ على عفته، وكذب امرأة العزيز، والثالث: دلّ على رفعة صاحبه ورغد عيشه، بما وجد فيه يعقوب من الريح، (إبراهيم، ١٤١٨هـ)، وهذه الثلاثة أنطقت الشعراء والحكماء، بحيث كان لكل قميص دوره في ذلك، (الثعالبي، ١٩٦٥).

المطلب الرابع: دلالة الكساء.

وقد ظهر من تقليب جذره (ك س و) الذي يدلّ على تغطية ما تحته، وعلى قدرٍ محدّد منضبط، يُدرك من خلاله حالَ المُغطّى، (الفراهيدي، ١٩٨٥)، وبناءً على ذلك، تبقى دلالته على عمومها في أيّ لباس، حتى تقوم دلالة السياق لتصرفه إلى معنىً خاصٍّ، وهو ما لفت إليه العسكري في قوله:

"أسماءُ الأكْسِيَةِ: هو كِساءٌ، والجمعُ أكسيَةٌ. فإذا كانَ أبيضَ رقيقاً سُمِّيَ شَمْلَةً، والجمعُ شِمَالٌ. فإذا كانَتْ سوداءَ سُمِّيَتْ نَمِرَةً. والبِجَادُ كِساءٌ مُخَطَّطٌ، والجمعُ بُجُدٌ. وكذلكَ البُرْجُدُ.. والعباءةُ مثلُ ذلكَ. والقطيفةُ كِساءٌ غليظٌ مُخمَلٌ. والخَمْلُ، والواحدُ خَمْلَةٌ. فإذا كانَ صغيراً فهوَ زِئْبِرٌ، وثوبٌ مُزَأبِرٌ... وتُسمَّى القَطيفَةُ القَرْطَفَ، والجمعُ قَراطِفُ. وتقولُ: هَذَا كِساءٌ خَزٌّ ومُطْرَفٌ خَزٌّ، إذَا كانَ فِي طَرَفِهِ عَلَمٌ. وخَصِيٌّ إذَا لمْ يكنْ فيهِ عَلَمٌ، وإنْ شئتَ أضَفْتَ فقلتَ: كِساءُ خزٍ، ومُطْرَفُ خَزٍ. وكِساءٌ مِخْلَقٌ: خَشِنٌ كأنَّهُ يَحلِقُ الشَّعْرَ. والمِحْشَأُ كِساءٌ خَشِنٌ أيضاً، والجمعُ المَحَاشِئُ. والمِسْحُ، والجمعُ مُسُوحٌ وأمساحٌ. وقد جاءَ عنِ العربِ: بَلاسٌ، وهوَ فارسيٌّ مُعرَّبٌ، والسَّوِيَّةُ كِساءٌ يُطرَحُ على ظهرِ البعيرِ، مثلُ الحويَّةِ، تَرْكَبُهُ النِّساءُ، ومِثْلُها الوَلِيَّةُ، والجمعُ الوَلايَات" (العسكري، ١٩٩٦، ص١٥١).

وفي المعجم العربيّ لأسماء الملابس: "الكِساء عند العرب لا يدل على نوع من الثياب بعينه؛ وإنما هو اسم جامع لكل ما يُلبس؛ كما أنه ليس مقصوراً على ما يلبسه الإنسان؛ وإنما الكساء قد يكون للكعبة؛ أو للفرس أو للإبل أو لغير ذلك؛ وكل قماش يصنع لتغطية المائدة فهو كساء، وغطاء السرير كساء، وغطاء المقعد كساء، وكل ما يتغطى به النائم ليلاً فهو كساء، وقد تكون الأقمشة الجيدة

الصنع كساء" (إبراهيم، ٢٠٠٢).

وقد أدركتُ من السياقات الثلاثة التي في القرآن الكريم بشأن الكساء للمساكين في كفارة اليمين [المائدة:٩٠]، أو السفهاء [النساء:٥]، أو المرضعات المطلّقات[البقرة:٢٣٣]: أنّ الكسوة تدلّ على كونها: على قدر الذي يتولاها من حيث القيمة، وعلى قدر الذي يلبسها من حيث الحاجة، أي: أنّها ترجمانٌ لحالين في آنٍ واحد، وبهذا تكون الكسوة أبلغ ما تكلّم من الثياب، ومن هذا الفهم كانت الكسوة أوسع أبواب الثياب.

المطلب الخامس: دلالة السربال.

لفت بعض المختصين بلغة القرآن إلى أنّ أصل كلمة (السِّرْبَال، بكسر السين وسكون الراء): كلمة فارسية مُعرَّبة؛ أصلها في الفارسية: سَرْ بال؛ مركبة من: سَرْ، ومعناها: فوق، ومن: بال؛ ومعناها: القامة؛ والمعنى الكُلّي: فوق القامة؛ أو ما يستر الجزء العلويّ من الجسم، وقد خصصت العرب السروال بالواو لما يستر الجزء السفليّ من الجسم؛ وخصصت السِّربال بالباء لما يستر الجزء العلوى من الجسم؛ ولا خلاف على أنهم جمعوا السربال على السرابيل؛ وأعطوه دلالتين: القميص الذى يُلبس من قطن أو صوف أو خَزٍّ أو غيره؛ والقميص الذى يلبسه المحارب؛ وهو الدرع؛ وقد وردت الدلالتان في آية واحدة في القرآن الكريم؛ هي قوله تعالى: ﴿**وجَعَلَ لَكُم سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأسَكُم**﴾[النحل: ٨١]، فالسرابيل الأولى هي القمصان؛ والثانية هي الدروع، وقد تعمّمت دلالة السربال في نصوص كثيرة؛ وصارت تعنى: "كُلّ ما لُبس" (إبراهيم، ٢٠٠٢، ص٢٣٢، وجاء في القرآن الكريم في تعذيب العصاة، قال تعالى: ﴿**سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ**﴾[إبراهيم: ٥٠].

المطلب السادس: دلالة الخمار.

الأصل في معنى (الخمر): ستر الشيء، ويقال لما يستر به: خِمَار، وأصبح في عرف الشرع علامة لما تغطّي به المرأة رأسها وعنقها ونحرها، فلا يظهر عند ذلك إلا الوجه، (الأصفهاني، ١٤١٢، وابن منظور، ١٤١٤)، ولهذا أمر الله تعالى النساء بلباسه، بقوله: ﴿**وَلْيَضرِبنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ**﴾ [النور:٣١]، تقول أم سلمة رضي الله عنها لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿**يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ**﴾[النور:٥٩]، خَرَجَ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِهِنَّ الْغِرْبَانَ مِنَ الأَكْسِيَةِ"[٤]، وفي المقابل، عدّ الشرعُ لِبْس الخمار دون

تغطية الجيوب من التبرّج، قال: ﴿وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰ﴾[الأحزاب: ٣٣]، بعد أن نهاهنّ عن ترقيق الكلام للرجال، وكأنّ كشف الجيوب – منطقة العُنق وما حولها– تُطمع ضعاف النفوس، كما يُطمعهم ترقيق الكلام، (الشوكاني، ١٤١٤).

المطلب السابع: دلالة الملابس في السنة النبوية.

وقفت على عشر دلالات للملابس في الأحاديث عند اختلاط الرجل أو المرأة في المجتمع، وهو ما يشير إلى ما يجب مراعاته في اللباس، عند الاختلاط بالناس، مما يدعو إلى الألفة، ودفع النفرة، ويتناسب مع الطرف الآخر، بحيث يكون لكلّ مقامٍ لباس يناسبه، مع مراعاة عدم التكلّف لمن لا يجِد، وعدم الرثاثة لمن يجد، بغضّ النظر عن المادّة التي صُنع منها الثوب، واللون الذي صبغ به. وقد تمّ إجمال ما وقفت عليه بما يتعلّق بالرجال في تسع نقاط، وما يخصّ النساء في النقطة العاشرة (صهيب، ٢٠١٣، ١٩/٣٨٥-٤٣٥)، على النحو التالي:

١- **لبس الثوب الذي يعين على الحركة (الرجل)**، ويُطلق عليه: القَبَاء، وهو: ثوب ضيق الكمين والوسط، مشقوق من الخلف يلبسه الرجال فوق الثياب في السفر والحرب؛ لأنه أعون على الحركة، (ابن حجر، ١٣٧٩).

٢- **لبس الثوب الذي فيه حرير، يقال له: المضلّع، أو القَسّية، أو** الحلّة السيراء، ويقصد بالحُلّة في الأحاديث: ثوب من قطعتين، كالرداء والإزار، والسيراء: التي فيها سيور من الحرير الصافي، (ابن الأثير، ١٩٧٩)، وهذا ما يعطي الثوب جمالاً، واحتراماً للابسه، والذين يختلط بهم.

٣- **لبس الثوب الأخضر، سواء كان بردة، أو قميصاً، أو حُلّة، أو حَبِرة**، فهذه مسمّياتٌ لما يلبسه المرؤ، ويظهر به بين الناس، من دون تكلّف، أي أنّها مما اعتاد أفراد المجتمع على لبسها، والإكثار من الظهور بهذا اللون يدلّ على رغبة صاحبه للخير والسلام والراحة الكاملة، كونه يذكّر بلباس أهل الجنّة، (مطاوع، ٢٠١٦، و المرازقة، ٢٠١٠)، ولأن الخضرة أحسن الألوان تأثيراً في النفس والروح، وهو دليل على السعادة والراحة، (الدهشان، ٢٠٢٠).

٤- **لبس الحلّة الحمراء للمناسبات.**

وردت روايات في الصحيحين وغيرهما تذكر أنّ النبيّ ﷺ كان يلبس حلة حمراء، وكلّها تشير إلى أنّه كان في جمْع من الناس، وفي مواقف تتناسب مع ما في ذلك اللون من المعاني؛ فهو "يرمز إلى العنف والقوة والنصر"، (مطاوع، ٢٠١٦، ص٤٢٨، ٤٣٥)، وعند النظر في دلالتها نجد أن تحمل في طيّاتها: الجدّ في الدعوة إلى الله، وتعليم الخلقِ ما يلزمهم تجاه الخالق، (البخاري، ١٤٢٢).

٥- لبس اللون الأسود إذا ناسب لون البشرة، وحسن ريحه بالاستعمال.

من خلال الأحاديث يظهر أنّ البردة السوداء كانت مصنوعة من الصوف، وعند لبسها تزيد في ظهور بياض البشرة، وقد ظهرت ثنائية الأبيض والأسود في القرآن، وذلك للدلالة على ظلمة الليل التي تقابل بياض الفجر، واسوداد وجوه أهل النير في مقابل بياض وجوه أهل الجنة، ووجود الطرق البيض والسود – في الجبال–، وحال المشرك إذا بشّر بالأنثى، وبدليل المخالفة يبيضّ وجهه إذا بُشّر بالذَّكَر، ويؤخذ من هذا أنّ المرؤ إذا لبس الأسود فإنّما يعكس نفسيّ الحزن، والإحساس بالوحشة، والهمّ والغمّ، وفي بعض المواقف كان "يعكس شعورا بالرهبة والخوف والنفور"(المرازقة، ٢٠١٠، ص٤٨)، كما كان في لبس النبيّ ﷺ العمامة السوداء يوم فتح مكة (صهيب، ٢٠١٣، ٣٩٧/١٩)؛ لأنّ المقام يناسبه ذلك اللباس، بينما لباسه للبردة السوداء، فلعلّه يتوافق مع حالة الطقس في حينها، روى عائشة: عَنْ عَائِشَةَ، "أَنَّهَا جَعَلَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ بُرْدَةً سَوْدَاءَ مِنْ صُوفٍ، فَذَكَرَ سَوَادَهَا وَبَيَاضَهُ، فَلَبِسَهَا، فَلَمَّا عَرِقَ وَجَدَ رِيحَ الصُّوفِ، قَذَفَهَا وَكَانَ يُحِبُّ الرِّيحَ الطَّيِّبَةَ" (٥)

٦- لبس اللون الأصفر الفاقع:

يشير اللون الأصفر إلى إدخال البهجة والسرور على من يلبسه، ومَن يعايشه، وهو يبعث على التفاؤل والأمل والثقة، (مطاوع، ٢٠١٦)، وكان يُطلق عليه في الأحاديث: "الثوب المعصفر"، ويظهر منها: أنّه إذا زاد الصفار فيه، بسبب شدّة الصبغة، فإنّه يُكره لبسه، (صهيب، ٢٠١٣) مما يعني أنّ المبالغة ذلك اللون تصبح من باب التكلّف، وعندها تعكس نفسيّة لا يتوافق ما ظهر منها، مع ما تُبطنه، وهذا مما لا يرضاه الشرع من أفراد المجتمع المسلم.

٧- لبس أجمل اللباس عند المحاضرات والمناظرات

من السنّة أن يلبس المسلم أحسن ما يجد عند اجتماعه بالناس، كالجمعة والعيدين، وغيرها من المناسبات، وهذا يدلّ على احترامه للذين يخالطونه، ولعلّ أحدنا يجِد في نفسه – إلى درجة الاشمئزاز – على الذين يُصلّون بثياب النوم، بينما إذا ذهبوا إلى الدكّان لا يلبسها، فإذا كانَ هذا الحال فيما يتكرّر الاجتماع له، فما ندَر من الاجتماعات أولى بالعناية باللباس منه، كالمناظرات، أو الندوات والمحاضرات، التي يترتّب عليها منفعة عظيمة للمجتمع، فاللباس الدالّ على اختصاص صاحبه يبعث على احترام الحاضرين، واعتقادهم في لابسه أنّه ممّن يستأهل أن تقطع الأوقات لآجل السماع له.

ومما يشهد لهذا من فعل السلف، ما فعله ابن عباس رضي الله عنهما حين ناظر الفئة التي خرجت

على عليّ رضي الله عنه، فذهب إليهم في عُقر دارهم (حروراء)، يقول ﷺ: "فَلَبِسْتُ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنْ حُلَلِ الْيَمَنِ – قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ: وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَجُلًا جَمِيلًا جَهِيرًا – قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَتَيْتُهُمْ فَقَالُوا: مَرْحَبًا بِكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ مَا هَذِهِ الْحُلَّةُ؟، قَالَ: مَا تَعِيبُونَ عَلَيَّ "لَقَدْ رَأَيْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الحُلَلِ" (صهيب، ٢٠١٣، ٤٣٨/١٩)، وقد كان لهذا أكبر الأثر، "فرجع منهم عن ضلاله عشرون ألفاً، وبقي منهم أربعة آلاف" (ابن تيمية، ١٩٨٦، ٥٣٣/٨).

٨- ما يلبسه الضيف وما يتجمّل به المزور

يدلّ الثوب الذي يلبسه الزائر على أشياء قامت فيه نفسه، ويستطيع أن يلمسها المَزور، فمثلا: أنّه مما تعارف عليه المجتمع، إذا كان لدى أحدهم ابنة في سنّ الزواج، ثم طرق بابَهم ضيوف، يلسون ثياباً في هيئة ما، فإنهم يعرفوا أنّهم جاءوا لخطبة ابنتهم، وإذا جاء شخص بثيابٍ رثّة إلى باب رجل غنيّ، فإنه يعرف– من ثيابه– أنّه يريد العون على مآسي الحياة، وكذا، إذا جاءه شخصٍ بلباسِ رجل أمنٍ، وكانت عليه شكاوى من نوعٍ معيّن. فكلّ ذلك ينطق بحاجة الضيف، قبل أن ينطق بها.

ولذلك، ظهر في السنّة النبوية، وأحداث السيرة، مواقف لا بأس بها، من هذا القبيل، ومن أولاها بالعناية أن تكون الملابسة دالّة على قدر المزور عند الآخرين، وعدّه النبيّ ﷺ من الدين، حيث جاء في الحديث أنّ جبريل عليه السلام لمّا جاء على صورة رجل، كان من وصف الثياب: " شديد بياض الثياب"، وبعدما جرى من الحديث ما جرى، وذهب، قال النبيّ ﷺ لعمر: "ذاك جبريل جاء ليعلّمكم أمور دينكم" [٦]، وفي لبس أحسن الثياب دلالة على عقل الضيف، وحسن تقديره للأمور (أبو داود، ٢٠٠٩).

وأمّا المزور، فإنّ لباسه عند استقباله للضيوف يوحي بالجواب قبل الطلب، فلو فرضنا المثال السابق – الذين ذهبوا إلى خطبة الفتاة– أنّهم عندما طرقوا باب الرجل خرج إليهم بلباس لا يُلبس لاستقبال جاهة العُرس، أو أنّ الفتاة خرجت إليهم بثوبٍ تظهر فيه علامات النُّفرة والكراهة، كالأسود مثلاً، فإنّ هذا يدل على عدم الرضا، ولا يُفهم من هذا، أنّ المزور له أن يلبس ما لا يُقبل في الشرع من أجل أن يدلّ على أنّه حفيّ بالضيف، فيلبس الرجل الحرير، أو المرأة تلبس ما يشفّ ويصف، بل يلبس ما اعتاد المجتمع على لبسه لاستقبال ذوي الحاجات المخصوصة، ولعلّ من الأدلة على ذلك ما قاله النبي ﷺ لعمر بن الخطاب – عندما أراد منه أن يلبس حلّة سيراء، يتجمّل بها عند استقبال الوفود، ويوم الجمعة –: "إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذِهِ مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ فِي الآخِرَةِ"[٧].

٩- لبس (المرأة) ما لا يشفّ ولا يصف، بغض النظر عن لونه

مما هو معلوم بالضرورة أنّ هناك خصوصيّات للنساء، كما أنّ هناك خصوصيّات للرجال، ومنها:

بعض الملابس، وبعضُ الهيئات فيها، وبناءً على ذلك؛ إذا ظهر أحد الجنسين بلباس الآخر كان عيباً في الأذواق السليمة، ولكن، إذا كانت بعض الملابس مما يشترك فيه الرجل والمرأة، فلا بدّ من مراعاة أنّ على المرأة أن تحرص على كونه لا يشفّ عن لون البشرة، ولا يصف أعضاء الجسد، (الشوكاني، ١٩٩٣، ١٣٦/٢)، ولهذا، لمّا أعطى النبيّ ﷺ زيد بن حارثة ثوبًا أبيض رقيقًا – مما كان يصنع في مصر، ويقال له: القبطية– كساه امرأته، فقال له النبي ﷺ: "مُرْهَا فَلْتَجْعَلْ تَحْتَهَا غِلَالَةً، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَصِفَ عِظَامَهَا"[٨]، وتجب مراعاة ذلك في لباس الرأس (صهيب، ٢٠١٣).

مما تقدّم تظهر أهمّيّة نشر ثقافة دلالة الثياب وألوانها بين أفراد المجتمع، بما في ذلك: تخصيص كل نوع منها باسمه الخاصّ به، وتخصيصه بمَن يلبسه، ومتى يلبسه، ومتى يضعه، وما هي دلالة لبسه، وهذا يؤكّد على أهمّيّة الصياغة الإسلامية للباس الذي يناسب أفراده، ويغنيهم عن السؤال عن حكم لبس كذا، أو الظهور باللباس كذا، فعندما يعرف أفراد المجتمع أنّ ما يلبسونه يتوافق مع الشروط الشرعيّة للباس، يقلّ الخلاف، وتكثر الألفة والمودّة بين أفراده، ويعذر بعضهم بعضًا في بعض الأذواق في اللباس، وتصبح لدى أفراده مناعة طبيعيّة ضدّ ما يروّج له أصحاب النفوس المريضة، من إشاعة ثقافة الغرب، غير المنضبطة بقيم الدين والأخلاق، فالإنسان يؤاخذ على اللباس؛ لأنّه "إنما يلبسه باختياره"، (صالح، ٢٠١٢، ص٣٩)، و"طبيعة الإنسان أنه تتنازعه طينة الأرض ونفخة الروح، وله إرادة حرة، وقادر على التعلم، وكرّمه الله بالاستعدادات لأن يستأهل الخلافة في الأرض" (المطيري، ١٩٩٣، ص١٠٣)، "وهذا يتطلب بذل الجهود لتطوير المؤسسات الاجتماعية، والحفاظ عليها داخل الأمة الإسلامية ذاتها، ونشر الإسلام عن طريق الدعوة بين المجتمعات والأفراد التي لا تدين بالإسلام"، (المرجع السابق، ص١١٧).

المبحث الثاني:
دلالة الثياب على الأطفال دون سنّ البلوغ

تقدّم في المبحث السابق أنّ لكلّ نوع من الثياب لغة خاصّة، لا يمكن تجاهلها، بل ينبغي على المجتمع المسلم ضبطها بضوابط الشرع، فهي إحدى علامات الالتزام بالدين، والانتماء للمجتمع، وهذا يدفع المجتمع إلى الانتباه باكراً إلى مسألة اللباس؛ لكي ينشأ أطفاله على القيم، ثمّ بعد ذلك لا يغفل عن تقييم ما يظهر على البالغين من لباس.

وأقرب مَن يخاطب في شأن لباس الأطفال الوالدان، وذلك لجملة من الأسباب، منها: حرصهم على إظهار الأبناء الصغار في أجمل حُلّة، ومنها: مسايرة المجتمع المحيط، ومنها: إظهار المكانة الاجتماعية، ومنها: التعبير عن الحبّ والعطف.

وبالطبع، فالطفل لا يدرك من ذلك شيئاً في السنّ المبكّر، إلا أنّه قد يتولّد لديه شعور بالاهتمام الزائد من الوالدين، وشعور آخر بتميّزه عن أقرانه، وذلك حين يراهم لا يلبسون مثل لباسه، وقد يعزّز ذلك الشعور: إطراءُ الكبار على ثيابه وأناقته فيها.

وبناءً على ذلك، يأخذ اللباس مأخذه من الطفل، فيحاول أن يُقلّد الكبار في لباسهم، وقد يتحقّق بعض ذلك للطفل من خلال صنّاع الملابس، الذين يحاولون محاكاة لباس الكبار بما يناسب حجم الأطفال، وهذا ما نشاهده في محلاّت الملابس ذات التصنيف العالي والمتوسط، سواء في ذلك اللباس التقليدي، أو التراثي، أو المهنيّ كاللباس الخاصّ بقطاعات التصنيف العسكري أو الفضائيّ أو حتى اللباس الرسمي.

وبالنظر إلى الوالدين وحرصهما على تحقيق رغبة أطفالهما، فربّما يقعان في المحظور من اللباس، وذلك بالنظر إلى سنّ الطفل، وأنّه خارج إطار التكليف، فيغيب عن البال أنّهما مسئولان عمّا يصدر عن أولادهما في هذا السنّ، بحكم التكليف للوالدين بأن ينشأ الأبناء على ما يرضي الله تعالى.

ولعلّ من المفيد في هذا المقام التأكيد على أهمّية غرس القيم الاجتماعية في الأطفال عمليًّا منذ نعومة أظفارهم، لأنّها نوع من أنواع العبادة، فكما نعلّمه على الصلاة وبعض العبادات، ونسعد بأن يكون على قدرٍ من الاحترام للآخرين في كلامه ومعاشرته، فعلينا أن نكون أكثر سعادة إذا تعلّم أطفالنا الاحتشام في لباسهم –وخاصّة الإناث–، وكان لبسهم لها عن قناعة، لا لانتظار مدحٍ، أو مخافة لوم، بحيث نقدّم له من اللباس ما يتناسب مع المقام الذي يخالط به الناس، مع التأكيد على قيام الآباء بذلك أيضاً.

وأقدّم فيما يلي نماذج حيّة كلٌّ منها يعزز ما سبق التنظير له، وذلك في مطلبين، وهي على سبيل التمثيل، لا الحصر.

المطلب الأول: التجمل لحضور الجماعات.

من المعلوم أنّ بعض الآباء يحرصون عند اصطحاب أطفالهم إلى مجتمع الناس أن يُلبسوهم أفضل ما لديهم، وربّما كان في بعض اللباس من حيث الشكل أو اللون ما يحظره الشرع، فلهذا كان من المفيد أن أعرض قصتين لهذا النموذج، استقى منهما العلماء بعض الضوابط للباس الأطفال.

قصة الحسن والحسين رضي الله عنهما.

كان بيت فاطمة الزهراء رضي الله عنها قريباً من بيت أبيها ﷺ، بجوار المسجد النبويّ الشريف، وفي إحدى الجُمَع، جهزت ولديها لصلاة الجمعة – وقد كان أحدهما في الثالثة من عمره، والآخر في سنّ الرابعة (السهارنفوري، ٢٠٠٦، ١٤٥/٥)، وأرسلتهما بعد أن جلس النبيّ ﷺ على المنبر، بقميصين أحمرين، فيهما شيء من الطول، فلّما دخلا المسجد أخذا يقتربان من جدّهما عليه الصلاة والسلام، وكانا يعثران بثيابهما، فنزل عليه الصلاة والسلام من على المنبر، وحملهما، ثم رقى المنبر، وأجلسهما على درجة المنبر أمامه، ثمّ قال: "صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ **﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾**[التغابن: ١٥] نَظَرْت إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْت حَدِيثِي فَرَفَعْتهمَا"[٩].

أخذ بعض العلماء من هذا الحديث: جواز إلباس الصغير طويل الثياب، وكذا الملوّن بالأحمر، وغيره من الألوان الفاقعة، كالأصفر بالنسبة للفتاة ورد ذلك في حديث أم خالد بنت خالد بن سعيد رضي الله عنهما، وأنها كانت صغيرة وعليها قميص أصفر، استحسنه عليها رسول الله ﷺ، (البخاري، ١٤٢٢هـ، والعراقي، د.ت، ٢٠٣/٣-٢٠٥)، سواء كان من الحرير أو غيره؛ لأنّه لا يعدّ من باب التشبّه، ويُدْخل الفرح على قلوب الأطفال، (الراجحي، ٢٠١٨)، ولأنّ الطفل في هذا السنّ غيرُ مُكلّف، (ابن رسلان، ٢٠١٦)، لكنْ، بعض العلماء كره ذلك، بدليل عموم الأحاديث التي تنهى عن جرّ الثوب، (البخاري، ١٤٢٢هـ)، وكذا لبس الحرير للذكور من المسلمين، (ابن حجر، ١٤١٩هـ)، وقد رجّح ابن عبد البرّ في هذا: أنّ الثواب والعقاب يتعلّق بالآباء؛ كونهم مأمورين بتعليم أبنائهم الأحكام وتعويدهم على ذلك، وحجته في ذلك: " لما كان على الآباء فرضاً: منع أبنائهم مما حرّم الله عليهم من أكل الخنزير والخمر والدم، فكذلك سائر المحرّمات وسائر المكروهات" (ابن عبد البر، ٢٠٠٠، ٦٠٩/٩).

ومثله فيما إذا لبست الطفلة ما يشفّ ويصفُ، فهي كذلك مشمولة بتحريمه على البالغات، وقد ورد عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنّها شقّت الخمار الرقيق الذي كان على حفصة بنت عبد الرحمن، وكستها خماراً كثيفاً، وقد ذكر ابن عبد البرّ عند هذا الحديث قاعدة مهمة في لباس المرأة: "كل ثوب يصف ولا يستر فلا يجوز لباسه بحال، إلا مع ثوبٍ يستر ولا يصف"[١٠]، ومثله ما إذا ظهر الطفل أو الطفلة في ثوبٍ واحد، ليس تحته شيء، ممّن يجد والداه أكثر من ثوبٍ له، فيكون محظوراً على الأطفال، مؤاخذٌ به الكبار، (ابن عثيمين، ١٤٢٦هـ، ٣١٧/٤).

وربّما يرد سؤال على هذا: لِمَ لا ندع الحريّة للصغار، حتى إذا كبروا علّمناهم وأعلمناهم بأنّ هذا حلال وهذا حرام؟ والجواب من جهاتٍ ثلاثة مَرَدُّها إلى أنّ الثوب له دلالة سياقيّة خاصّة:

الأولى: تعليمهم على تعظيم أمر الله تعالى بالتلقين، ونحن نرى ذلك في التحذير من المخاطر في كلّ شيء، فتجد الأب أو الأخ الكبير يحمل طفلاً، يريد أن يقطع الشارع، ويتكلّم معه بلغة الكبار، في كيفيّة قطع الشارع، وبعضهم يعلّم طفله كيفيّة الابتعاد عن المخاطر؛ من ركوب المصعد حتى وضع جهاز الشاحن في مصدر التيار الكهربائي، ومن مسك الملعقة أثناء الطعام، حتى كيفيّة الشرب أو حجم اللقمة، وكل ذلك وغيره، لا نجد مَن ينكر على فاعله، ويقول: دعه يفعل ما يشاء؛ لأنّه في هذا السنّ لا يُدرك ذلك، بل إنّه قد يخيّل للطفل بصورة أو بأخرى أنّ السيارة تقول له لا تقطع الشارع الآن حتى لا أدهسك، أو الكهرباء تقول له: لا تمسك الشاحن بالطريقة كذا حتى لا أحرقك... إلخ.

الثانية: تدريب الصغار على الحشمة، وأنّ لكلٍّ من الجنسين ما يناسبه من اللباس، بمعنى: أن يتميّز لباس الذكور عن لباس الإناث بالهيئة والألوان، مع انطباق أوصاف لباس الكبار على الصغار، فإذا ما كان عند الطفل حبّ الفضول، فسأل: لماذا لا نلبس كذا وكذا، كان لزاماً على الآباء تقديم المبرّرات التي تحملهم على الاعتزاز بلباس العفّة والاحتشام، ومن المعلوم أنّ الطفل يقتنع إذا قيل له: هذا الثوب يقول كذا وكذا، من دون إصدار الأحكام الشرعية: هذا حلال وهذا حرام، ولكلّ والدٍ أسلوبه في توصيل الفكرة بالطريقة التي تتناسب مع الطفل وعمره.

الثالثة: غرس الإحساس بالمسؤوليّة تجاه الآباء بصفة خاصّة والمجتمع بصفة عامّة، بحيث يشعر الأبناء أنّ الآباء يختارون لهم الأنسب، مع ترك مجالٍ للأطفال أن يعبّروا عن رأيهم في الاختيار من المعروض أمامهم، والأفضل في هذا أن يكون في وقت تكثر في الحركة، كأيام الجُمَع والأعياد، حتى يُحسّ الطفل بالأنس، فتتعزّز لديه روح المنافسة، والثقة بالنفس، فبناءُ الشخصيّة في الطفل من خلال اختياره للثياب، لا تقلّ أهميّة عن اختاره لأطايب الكلام.

وحبّذا لو تمّ عمل عرضٍ لأزياء الأطفال بما يتناسب مع أعمارهم، بحيث يكون العرض لكلّ جميل ملتزمٍ باللباس الإسلامي، بحيث يقوم الذين يضعون درجات لكل لباس بإبداء رأيهم على أساس أنّ اللباس يتكلّم، كأن يقول: هذا القميص يقول: إنّ لابسه يحبّ أن يصير طبيبا، أو مهندساً؛ لأنّه واسع، ويحفظ جميع الجسم من أشعة الشمس أو برد الشتاء، أو هذا الفستان يقول للفتاة التي تلبسه ستصبح أمّاً مثاليّة؛ لأنّه لا يظهر من جسمها شيء، فجميع جسدها محفوظ من أعين الحاسدين والأشرار، فعندما تلبسه لا يجرؤ عديم التربية أن يقترب منها... وهكذا.

المطلب الثاني: التجمل لإمامة الناس في الصلاة

ظهر في التاريخ الإسلامي نماذج من الأطفال الذين أمّوا الناس في الصلوات، وذلك لما قامَ فيهم من الميّزات التي أهّلتهم لذلك، وبين أيدينا أحد النماذج ذات الصلة بدلالة الملابس على حال اللابس ودور المجتمع في إلباس الطفل الإمام ما يتناسب مع حالهم.

قصة عمرو بن سِلْمَة الجرميّ الذي أمّ قومه وهو ابن ست أو سبع سنين:

ذكر عمرو بن سِلمة أنّه كان يسمع القرآن من الرُّكبان الذين كانوا يمرّون بأرضهم، قبل أن يذهب والده بقومه لمبايعة النبيّ ﷺ على الإسلام بعد فتح مكة، فلمّا ذهب والده لمبايعة النبيّ ﷺ على الإسلام، ورجع إلى قومه قال لهم:

"جِئْتُكُمْ وَاللَّهِ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ حَقًّا، فَقَالَ: "صَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، وَصَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْثَرُكُمْ قُرْآنًا". فَنَظَرُوا فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَكْثَرَ قُرْآنًا مِنِّي، لِمَا كُنْتُ أَتَلَقَّى مِنَ الرُّكْبَانِ، فَقَدَّمُونِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَأَنَا ابْنُ سِتٍّ أَوْ سَبْعِ سِنِينَ، وَكَانَتْ عَلَيَّ بُرْدَةٌ، كُنْتُ إِذَا سَجَدْتُ تَقَلَّصَتْ عَنِّي، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الحَيِّ: أَلَا تُغَطُّوا عَنَّا أَسْتَ قَارِئِكُمْ؟ فَاشْتَرَوْا، فَقَطَعُوا لِي قَمِيصاً، فَمَا فَرِحْتُ بِشَيْءٍ فَرَحِي بِذَلِكَ القَمِيصِ"(١١).

وقد ذُكر في بعض الروايات: أنّ هذا الثوب من قماشٍ فاخر يُصنع في عُمان، وأنهم اشتروه لأجله، وأنّ التي لفتت النظر إلى انكشاف عورته كانت امرأة كبيرة في السنّ، فكانت قصّة هذا الثوب مثار اهتمام عند شراح هذا الحديث، والذي يهمّ منه في البحث: ما الذي جعل هذا الثوب يُدخل السرور إلى قلبه؟ وماذا يقول لنا ذاك الثوب؟

قال بعضهم: إنّه فرح به لأنه أعانه على القيام بستر العورة التي لا تصحّ الصلاة بانكشافها، وقد ظهر ذلك من كون الناس قد شكوا إلى والده انكشاف عورته، لكنّ والده لم يفعل شيئاً، مما يعني أنّ البُردة المخروقة التي كان يصلّي بها في قومه كانت تقول: هذا أفضل ما عنده، وتقول: إنّ والده غيرُ قادر على إلباسه غيرها، فلذلك فهم الناس ذلك، فتبرعوا له بثمن الثوب، وشروه له، وقامت إحدى نساء الحيّ ممّن لها خبرة بالخياطة بتفصيل الثوب على مقاسه. إنّه الفرح الطبعيّ، كفرح الصغار عادة بالثوب الجديد، وهو ما ذكره عمرو بنفسه، (المباركفوري، ٢٠٠٢، ٦٣/٤).

ويمكن أن نأخذ من لغة هذا الثوب الحِكَم التالية:

أولاً: يَحْسن بالأئمة أن يكون لهم لباسٌ يدلّ على أنهم أهلٌ لذلك، بمعنى: أنّ الذي يرى صاحب ذاك اللباس يعرفه، وكأنّه يقول له: هذا هو الإمام.

وقد أخذ ابن عبد البرّ من قول عمر بن الخطاب: " إني لأحبّ أن أنظر إلى القارئ أبيض الثياب"، أنّه يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا وَالْعِبَادَةَ لَيْسَ بِلِبَاسِ الْخَشِنِ الْوَسِخِ مِنَ الثِّيَابِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، وَفِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْأُسْوَةَ الْحَسَنَةُ" (ابن عبد البر، ١٣٨٧هـ، ٩/٦٠٠).

ثانياً: أنّ اللباس المناسب للشخص المناسب أخصر طريق إلى قبوله بين الجمهور، حتى لو كان في سنّ الطفولة، فإنّ ظهوره بذلك اللباس يجعل الجمهور ينظر إليه بوصفه لا بعمره، فلهذا كان قول المرأة " إمامكم" وفي رواية: "قارئكم"، ولم تقل: " الصبيّ أو الغلام"، فهذا الثوب قد أَطلق على صاحبه وصف: الإمام، أو القارئ.

ثالثاً: أنّ لباس الإمام يدلّ على قدر المأمومين، ولهذا يحسن أن يراعي الإمام ذلك، وأن يعينه المصلّون على ذلك؛ لأنّه قد يُزدرى إذا لبس وضيع الثياب بين أناسٍ أغنياء، أو يتحاشاه الفقراء إذا رأوه لبس الثياب الفخمة وهم لا يقدرون على مثلها؛ وهذا ما لفت إليه "ابن عثيمين"، حيث قال في شرحه لحديث معاذٍ رضي الله عنه: "من ترك اللباس تواضعا لله" قال: " وهذا يعني أن الإنسان إذا كان بين أناس متوسطي الحال لا يستطيعون اللباس الرفيع فتواضع وصار يلبس مثلهم، لئلا تتكسر قلوبهم، ولئلا يفخر عليهم، فإنّه ينال هذا الأجر العظيم، أما إذا كان بين أناس قد أنعم الله عليهم، ويلبسون الثياب الرفيعة لكنها غير محرمة، فإن الأفضل أن يلبس مثلهم ؛لأن الله تعالى جميل يحب الجمال، ولاشك أن الإنسان إذا كان بين أناس رفيعي الحال، يلبسون الثياب الجميلة، ولبس دونهم فإن هذا يُعدّ لباس شهرة؛ فالإنسان ينظر ما تقتضيه الحال، فإذا كان تَرَك رفيع الثياب تواضعا لله ومواساة لِمَن كان حوله من الناس، فإنّ له هذا الأجر العظيم، أمّا إذا كان بين أناس قد أغناهم الله ويلبسون الثياب الرفيعة فإنه يلبس مثلهم" (ابن عثيمين، ١٤٢٦، ٤/٣٨).

خلاصة القول: إنّ الثوب قد دلّ على أنّ والد الطفل لم تكن لديه القدرة على شراء ثوبٍ يليق بولده الصغير، بعد أن أصبح إماماً للمصليّن، ولم يكن الطفل يُدرك ما يلزم ذلك المنصب من لباسٍ يتناسب مع الذين يُصلّون خلفه، مما دفعهم إلى أن يُعينوه على اللبس الذي يناسب المنصب الجديد، ويعكِس احترام المجتمع له.

المبحث الثالث:
دلالة الثياب على البالغين حتى سنّ الشيخوخة

أوّل ما يتبادر إلى الذهن عند الحديث عن دلالات اللباس في القرآن والسنّة وكلام العرب، وكلام أهل الاختصاص هو: لباس البالغين، كونه يتمّ بناء على اختيارٍ ذاتيّ، أو عُرفيّ، ولهذا تتعلّق به الأحكام الشرعية والأحكام الوضعيّة على السواء، ففي الطبّ يوجد لباس خاصّ للكادر الطبّي، وأثناء القيام بالعمليّات يوجد لباس أخصّ منه، فإذا التحق الطبيب بدوامه، أو دخل إلى غرفة العمليّات من دونه، عرّض نفسه للعقوبة، وكذا قطاعات الجيوش، وكذا الزيّ الموحّد في بعض المؤسسات، وليس ببعيد عن ذلك الأحكام الشرعيّة المتعلّقة باللباس، كستر العورة أثناء الصلاة، والتزام اللباس الخاصّ بالإحرام أثناء الدخول في نسك الحج أو العمرة، وهكذا.

ومن المؤكّد أنّ كل لباس تعارف الناس عليه، أو تعارف عليه فئة من الناس، له رمزيّة على الذي يلبسه، فيستطيع ذلك المجتمع أن يدرك من خلال ذلك اللباس المعاني فيه من النظرة الأولى، فعلى سبيل المثال: الذين سبق لهم الخدمة في الجيش يعرفون من شكل اللباس القطاعَ الذي ينتمي إليه الجنديّ، ويدركون من الرتبة – التي على ذراعه أو كتفه أو قَبّة عنقه – سلطانَه على مَن دونه في الرتبة، فما ظهر عليه من اللباس يعطي دلالة واضحة عن مستوى هذا الشخص ومكانته، وكأنّه يتكلّم، والدليل على ذاك المعنى القائم في اللباس هو ما يصدر عن لابسه من أفعال، فهو إذن يدلّ دلالة مطابقة على ما قام فيه من المعاني، والدليل على ذلك: لو تصوّرنا الكلّ في ميدانٍ واحد، ثمّ فجأة طارت الملابس بما عليها من الرّتب (كارليل، ٢٠٠١)، عندها سندرك تمام الإدراك كم في ذلك اللباس من معنًى! وكم له من دلالة!

قريبٌ من هذا ما نجده في كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه في شأن الثياب، من ذلك: أنّ الله تعالى ذكر ثياب المهنة، وجعل وضْع لابسها عنه دالاً على رغبته في الخلوة، ومنع الآخرين من الدخول عليه إلا بعد الاستئذان، قال تعالى: **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَت أَيۡمَٰنُكُم وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾**[النور: ٥٨]، وكذلك ما نجده في هيئة أعداء الرسل، [هود:٥، نوح:٧]، حيث كانوا يُغطّون رؤوسهم بثيابهم عندما يرون نبيّهم، وكأنّها تخبر عنهم أنّهم لا يريدون رؤيته، ولا سماع مواعظه.

وفي السنّة والأدب العربيّ أمثلة كثيرة، منها قول ابن الخطيب: "كان الأعمش يلبس قميصه مقلوباً ويقول: الناس مجانين يجعلون الخشن إلى نفوسهم، والليّن إلى عيون الناس... مسلم بن يسار: إذا لبست ثوبا فظننت أنك فيه أفضل مما أنك في غيره، فبئس الثوب لك. وقيل: البس من الثياب ما يخدمك، لا ما يستخدمك. قيل لراهب: لم تلبسون السواد؟ فقال: لأنه أشبه بلباس المصيبة. قيل: لكلّ شيء راحة، وراحة الثوب طيّه، وراحة البيت كنسه. قيل: إنّ الثوب يقول: صُنّي بالليل أَصُنْك بالنهار، (الأماسي، ١٤٢٣هـ).

وقد أدرك أهل المعرفة بأنواع اللباس جنسيّة أكثر الأشخاص من لباسهم، كما أنّ أهل البلد الواحد يدركون قبائل وعشائر البلد من لباسهم، وهو ما يتعارفون عليه بلباس القبيلة أو العشيرة أو المنطقة، أو الديانة، حتى وصل الأمر في الوقت المعاصر إلى رفع دعاوى على الذين يسرقون ثقافة الملابس، ويجعلونها في غير أهلها، (برجت، ٢٠١٩).

وربّما يشذّ عن هذا بعضُ الخارجين عن دائرة الأعراف والتقاليد، ومع هذا لا يمكن أن يعيشوا في فراغٍ، فما من صاحب لباس إلا ولباسه يدلّ على شيء ما، بغضّ النظر على سعة تلك الدلالة، فلو نظرنا إلى مجتمعٍ رياضيّ– من اللاعبين والمشجعين– مع أنّ الجميع يرتدي اللباس الخاصّ بالرياضة، إلا أنّ تلك الملابس تتكلّم بالدلالة على كلّ فريق ومشجّعيه، أيضاً لو تابعنا اجتماعاً يضمّ أكثر رؤساء دول العالم، لأدركنا أنّه يجمعهم "الزيّ الرسمي"، بحيث يدل لبس البدلة وربطة العنق على أنّ لابسه له صفة رسميّة، فعندها تُفتح له الطريق، وتُقدّم له التشريفات وما يستلزمه ذاك المؤتمر، فاللباس تكلّم بأنّ لابسه له صفة رسميّة تفرض احترام لابسه.

المطلب الأول: ضوابط الثياب في الثقافة الإسلامية:

حتى تنضبط ثياب المسلم بما يُمليه عليه كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، ينبغي النظر إليها من ثلاث جهات:

الأولى: إذا كانت متوافقة مع لغة الثوب الإسلامي: لا يشفّ ولا يصف، وليس هو من لباس أهل الشهرة بالفجور وما إلى ذلك. فهذه اللغة لا يَشكّ في قبولها إلا مكابرٌ أو معاند، ولعلّ من يراجع " كتاب اللباس" في كتب السنّة يرى الكثير من الأمثلة.

الثانية: إذا كانت لغته لا يقبلها الدين، ولا يرضاها العقل، ولا تستسيغها النفوس الزكيّة، فتلك اللغة مرفوضة، كما يرفض المسلم قول كلمة الكفر مختارًا لها، ويكفي فيها الدليل الواحد، كقول النبيّ

ﷺ لعمر رضي الله عنه في شأن الجبّة من الحرير: "يلبس هذا مَن لا خلاق له في الآخرة"[١٢]، وستأتي بعض الأمثلة فيما بعد.

الثالثة: إذا كان في لغته بعض الصفات المشينة، والتي يمكن أنْ تتهذّب مع الزمن، أو نستبدلها بمفرداتٍ تتناسب مع القيم والأعراف الإسلامية، دون إلغاء باقي المصطلحات الحسنة فيه، فليس من الحَصافة رفْضُها بالكليّة، ولا قَبولُها على عِلّاتها، لذلك ينبغي أن يتصدّر لها أهل الاختصاص؛ كي يهذّبوها ويؤسْلموها، لتستقيم مع المجتمع المسلم، ولا تبقى فيها تلك المفردات النّابية المُنفّرة، الداعية إلى تفريق المجتمع وتمزيق أواصر القربى فيه، بما تنطق به من تقريب الغريب، وتغريب القريب، إذ النفس شوّاقة لكلّ جديد.

المطلب الثاني: دلالات ثياب الحادة، والمتبذلة، والثوب المستعار، وثوب الداعية

أولاً: دلالة ثياب الحداد على الزوج

الحادّة هي: المرأة التي مات زوجها، فقد أوجب عليها الشرع العدّة، وحرّم عليها أثناء العدّة ما يشير إلى رغبتها بالزواج أو ترغيب الرجال بها، سواء ما كان في نفسها "كالخضاب والكحل، أو كان في تفصيل لباسها ولونه"، (العيني، د.ت، ٢١/٥-٧)، فإذا خلا اللباس من تلك الدلالة فلا بأس به، (السفاريني، ٢٠٠٧)، ولذلك يمكن ضبط لغة ثيابّ الحادة بما يلي:

أولاً: أنّ الثوب الذي يدلّ على أنّ المرأة غير حادّة على زوجها من دواعي الزواج، وإنّما فرضت العدّة لأجل تحريمه أثناءها، " وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْإِحْدَادَ مَعْقُولُ الْمَعْنَى، وَهُوَ أَنَّ إِظْهَارَ الزِّينَةِ وَالطِّيبِ وَالْحُلِيِّ مِمَّا يَدْعُو الْمَرْأَةَ إِلَى الرِّجَالِ وَيَدْعُو الرِّجَالُ إِلَيْهَا: فَلَا يُؤْمَنُ أَنْ تَكْذِبَ فِي انْقِضَاءِ عِدَّتِهَا اسْتِعْجَالًا لِذَلِكَ، فَمُنِعَتْ مِنْ دَوَاعِي ذَلِكَ وَسَدَّتْ إِلَيْهِ الذَّرِيعَةَ" (ابن القيم، ١٩٩٤، ٦٢٢/٥).

ثانياً: أن اللون المصبوغ يدلّ على التحسين والتزيّن، فحرم عليها ذلك لأنّه من دواعي الرجال إليها.

ثالثاً: أنّ الثوب إذا نُسج من دون تحسينات تدلّ على أنّه يدعو إلى لفت النظر، أو كان لونه يدلّ على لتقبيح الصورة أو ستر الوسخ فهذا غير مانع من لبس المعتدّة له، (المرجع السابق، ٣٦١/٥).

وبهذه الضوابط ندرك: أنّ ثوب الحادّة يدلّ على أنّ هذه المرأة لا ترغب بالزواج، وينبغي للرجال أنْ يعرفوا ذلك، فلا يتعرّضوا لها بصريح التعبير عن الرغبة فيها، فإنّ ذلك محرّم عليهم حتى يبلغ الكتاب أجله.

ثانياً: دلالة الثياب المُبتذلة:

القصد بالثياب المُبتذلة: غير المهذّبة بلون أو نسجٍ أو غسيل، أو كيٍّ، وما شابه ذلك من الأحوال التي تدلّ على أنّ الإنسان يُلقي بالاً للهِنْدام؛ لأنّ هذه الهيئة من اللباس تعكس نفسيّة الشخص، كما تعكس نبرة الصوت نفسية المتكلّم، ولهذا كان التبذّل في اللباس – ممن لم يبلغ من الكِبَر عتيًّا – دالا على وجود خلل في العلاقة الزوجيّة، ومما جاء في هذا المعنى قول سلمان الفارسيّ لأمّ الدرداء حين رآها متبذّلة: "ما شأنكِ؟ قالت: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ؟ قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، قَالَ: فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، قَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ: سَلْمَانُ قُمِ الآنَ، فَصَلَّيَا فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانُ"[١٣].

ولهذا اعتاد المجتمع على ملاحظة لباس أفراده، فميّزوا بين لباس العروس ولباس العيد ولباس المهنة، وما شابه، وربّما عُرف من حال اللباس مدى اهتمام الرجل بزوجه، كما في ذُكر في قصّة المرأة التي ذهبت تشكو زوجها في النفقة وإضراره بها، فلمّا دُعي إلى مجلس القضاء، طلب الزوج من القاضي أن يسأله عن الصحّة التي تتمتّع بها تلك الزوجة: " أَمِنْ طَعَامِي هُوَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَفَتَمُنُّ عَلَيَّ بِكِسْرَةٍ؟ قَالَ: **فَسَلْهَا عَنْ هَذِهِ الثِّيَابِ أَمِنْ كُسْوَتِي؟** قَالَتْ: نَعَمْ، أَتَمُنُّ عَلَيَّ بِخِرْقَةٍ؟ قَالَ: فَسَلْهَا عَمَّا فِي بَطْنِهَا أَمِنِّي هُوَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، وَوَدِدْتُ أَنَّهُ فِي بَطْنِ كَلْبٍ. قَالَ: فَمَا يُطْلَبُ مِنَ الزَّوْجِ إِلَّا أَنْ يُطْعِمَ وَيَكْسُوَ وَيُحْبِلَ؟ فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ: صَدَقْتَ ذَلِكَ يُطْلَبُ مِنْهُ خُذْ بِيَدِهَا" (أبو يوسف، ١٣٥٥هـ، ص١٥٩).

من هنا نعلم أنّ الثوب لا يُجامل، وكلّ من يحاول أن يلبس ثوبًا يزوّر به حقيقة نفسه سينكشف عند أوّل اختبار.

ثالثاً: دلالة الثياب المستعارة:

رغّب الإسلام في أن تظهر ثيابُ العِزّة على المسلم، ومن علاماتها: أنْ يلبسها الموسرون في المناسبات، ومن واقعيّة الإسلام أنّه خفّف على المعوزين من أفراده بالسماح لهم باستعارة بعض الثياب، ومَقَتَ الذين يتكلّفون ما لا يطيقون، حيث جاء في الحديث: "ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ"[١٤].

وإذا ما ذهب الباحث يتلمّس الدلالة في ذلك، وجد أنّ فيه بعض المعاني، ومنها:

أولاً: أنّه يدخل السرور على مَن يلبسه، (ابن رسلان، ٢٠١٦)، وكأنّه يهنّئه بفرحه.

ثانياً: أنه يدخل السرور على قلوب الحاضرين، كون المسلم يفرح بفرح أخيه المسلم، واللباس الجميل– حتى ولو كان مستعاراً– يُضْفي البهجة على المشاركين في المناسبة، ويكشف عن أثر نعمة الله على المُعير، وعلى المستعير، فالمعير يشكر، والمستعير يبتهج؛ لأنّه قد حصّل الظهور بأفضل ما يكون، مع قلّة التكلفة في ذلك، (ابن بطال، ٢٠٠٣، وابن حجر، ١٣٧٩).

ثالثاً: تعظيم شعائر الله تعالى، فإنّ لباس ما يحلّ للمسلمين دليل على التزامهم بتعاليم الدين الحنيف، وبالمقابل، فإنّ امتناع أهل النّعمة عن لباس الكفّار الفاخر، مع قدرتهم على ذلك.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: "رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيَّ ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ، فَقَالَ: "إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ فَلَا تَلْبَسْهَا"، وفي الرواية التي بعدها: "أَأُمُّكَ أَمَرَتْكَ بِهَذَا؟" قُلْتُ: أَغْسِلُهُمَا، قَالَ: "بَلْ أَحْرِقْهُمَا"[١٥].

رابعاً: إغاظة العدوّ الحاسد للمسلمين، كما قال تعالى فيهم: **﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن أَهلِ ٱلكِتَٰبِ وَلَا ٱلمُشرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيكُم مِّن خَيرٍ مِّن رَّبِّكُم﴾**[البقرة: ١٠٥].

مما تقدّم ندرك أنّ للثياب المستعارة دلالة لا يُستهان بها، وعلى المسلم إذا أراد استعارة ثوب أن يختار ما يتناسب مع حاله، وأن يكون موافقًا لضوابط اللباس الإسلامي.

رابعاً: دلالة ثياب الداعية:

قال تعالى لنبيّه ﷺ في أوّل الآيات النازلة في شأنِ الدعوة: **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلمُدَّثِّرُ * قُم فَأَنذِر *وَرَبَّكَ فَكَبِّر * وَثِيَابَكَ فَطَهِّر﴾**[المدثر: ١–٤]، حيث دلّت على التربية الربّانية للداعية الأول ﷺ التي تريد له أن يتميّز بطهارة ثوبه، (الماتريدي، ٢٠٠٥)، مع أنّه كان يهتمّ بمظهره قبل ذلك، لكن هذه الآية تحوّل ذلك الاهتمام من العادة إلى العبادة، فقد ظهر في أشعار العرب أنّهم كانوا يمثّلون الطهر من الانحراف بنظافة الثوب، (الألوسي، ١٩٩٥، وحوّا، ١٤٢٤هـ).

ويمكن النظر في أنّ لثوب رسول الله ﷺ دلالات في الأحكام الشرعية، من حيث طريقة لبسه، ونوع فصله، ولون لباسه في حِلِّه وفي إحْرامه، وهيئة لباسه للصلاة وغيرها، وكذا لباسه في حال إعوازه وحال رخائه، وفي حال سِلْمه وفي حال حَرْبه، وما يقابل به العدوّ وما يَسْتقبِل به المحبّ، وما يتكلّف فيه للضيف، وما يتخفف فيه للمُعَاشِر، وهكذا، وكتب الشمائل والسنن مليئة بمثل هذا[١٦].

ولهذا ينبغي للداعية أن يتأسى بالنبي الكريم، (الرحيلي، ٢٠٠١)، ويعرف أنّ الناس ما رأوا رسول الله ﷺ، ولكنهم يرون اليوم العلماء الذين هم ورثته في هذا المجال، ونسمع قول بعض الناس: هذا لباس السنّة، أو هذا يلبس على السنّة، أو فلان يخالف لباس السنّة، وما إلى ذلك، إذن: على الداعية أن يتحرّى بلباسه ما يقبله الشرع، لأنّه إذا خالف ذلك –وهو يعلم أنّ الناس يظنون فيه تطبيق السنّة– قد يقع تحت تحذير النبيّ ﷺ: " ومن كذب علي متعمّدا فليتبوّأ مقعده من النار"[١٧].

من خلال ما تقدّم يظهر أنّ لباس الداعية يشير إلى دلالتين: أنّ لابسه مؤهّلٌ للقيام بالدعوة، وأنّ على المدعوّين احترامه؛ لأنّه يعبّر عن شريحة كبيرة من الناس، ألا وهم الدعاة، الذين هم ورثة رسول الله ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم.

خامساً: ثياب المُحرِم:

يُقصد بثياب المحرم هنا: الإزار والرداء الذين يلبسهما الرجل إذا نوى الحجّ أو العمرة، من الميقات، ومن المعلوم بالضرورة أنّ المرأة تحرم بثيابها المعتادة، ولذلك، لا تدخل هنا، ولا تتميّز عند إحرامها إلا بكشف الوجه والكفّين، (القنّوجي، ١٩٨١).

ومن المعلوم أيضاً: أنّ المواقيت بعيدة عن المسجد الحرام، وعلى سبيل المثال؛ فالمسافة بين ميقات آبار علي – من جهة المدينة المنورة– والمسجد الحرام، قرابة (٤١٠كم)، وليتميّز الذي نوى الحجّ أو العمرة عن غيره أُمر بلباس الإحرام، ولا يُشترط له لونٌ معيّن، وإن كان الأفضل: البيضاء " التي هي من مظاهر الإحرام وتجلياته" (الميداني، ١٤٤١هـ، ص١٣٨).

ولكن: ينبغي مراعاة أن يشتبه لابسه بغير المحرم[١٨]، وبهذا اللباس لا يتعرّض هو لمحظورات الإحرام، ولا يتعرّض أحدٌ له بذلك؛ كأنْ يهدي إليه لحم الصيد[١٩]، أو يضع عليه لباساً مخيطًا، أو عِطراً، وما شابه ذلك، فلباس الإحرام يغني عن الكلام.

الخاتمة:

وفيها النتائج والتوصيات:

ظهر من خلال بحث علم الدلالة أنّ للثياب لغة، يعرفها أهل الاختصاص حال لِبسها، وينطبق عليها بدلالاته الثلاثة: المطابقة والالتزام والتضمين، مما يعني أنّه ينبغي على المجتمع المسلم أن يعرف أنّ الثياب ليست مجرّد قطعة من القماش تواري الجسد، بل هي أداة لكشف الأسرار التي تخفيها صدور اللابسين، وبناءً عليه ينبغي تعليم تلك الدلالات للأطفال، وتنبيه الكبار لها، مع معرفة الضوابط لكلّ ما

يأتي إلى مجتمعنا من عالم الموضة، فلا ننقطع عنه، ولا نضعف أمامه، فللمسلم أن يلبس ما يحلو له إذا توافق مع ضوابط الشرع: مثل عدم المشابهة للباس أهل الشهرة من العصاة والكفار، وعدم تشبّه الرجل بلباس المرأة أو العكس، وأن لا يصف الثوب العورة أو يكشفها، وأنْ يخلو من التكبّر على الآخرين، وأن لا يتكلّف في اللباس بأن يلبس الفقير لبس الغنيّ أو يلبس الغنيّ لبس الفقير، أو غير الداعية لبس الداعية، وما إلى ذلك.

وتوصي هذه المقالة بما يلي:

أولاً: أن يقوم المجتمع المسلم بعمل دور للأزياء الإسلامية، تتضبط فيها مواصفات اللباس الإسلامي.

ثانياً: نشر ثقافة دلالة اللباس الإسلامي، وصراعه مع دلالات الألبسة الآتية من غير المسلمين؛ كي يعتزّ المسلم بلباسه، ولا يجمُد أمام لبس الآخرين، أو يقع فريسة للموضة، من خلال التقليد الأعمى.

ثالثاً: تدريب أفراد المجتمع على الاعتزاز بالثوب الإسلامي، كونه يكشف عن تاريخ عريق، تحرر فيه المسلمون من لباس الجاهليّة بأوسع معانيها، وصهرهم في بوتقة اللباس الإسلامي، المنضبط بالوصف، مع ترك الحرّيّة للفرد أن يختار ما يحلو به أو يحلو له، فلا هو عبدٌ للموضة، ولا هو عبد للتقاليد.

المراجع.

- إبراهيم، رجب عبد الجواد، **المعجم العربي لأسماء الملابس «في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث»**، الطبعة الأولى، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٢.
- ابن الأثير، المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، الطبعة الأولى، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.
- ابن العربي، محمد بن عبد الله المالكي، **أحكام القرآن**. الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣.
- ابن الفرس. عبد المنعم بن عبد الرحيم الأندلسي، **أحكام القرآن**، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٦.

- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، الطبعة السابعة والعشرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٤.
- ابن بطال، علي بن خلف بن عبد الملك، **شرح صحيح البخاري**، الطبعة الثانية، مكتبة الرشد. الرياض، ٢٠٠٣.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، تحقيق: محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٩٨٦م
- ابن حجر، أحمد بن علي، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
- ابن حنبل، أحمد بن حنبل الشيباني، **مسند الإمام أحمد**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م.
- ابن رسلان، شهاب الدين أحمد بن حسين المقدسي، **شرح سنن أبي داود**، الطبعة الأولى، دار الفلاح، الفيوم، ٢٠١٦.
- ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي، **المحكم والمحيط الأعظم**، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي **المخصص**، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م.
- ابن عبد البر. يوسف بن عبد الله القرطبي، **الاستذكار**، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠.
- ابن عبد البر. يوسف بن عبد الله القرطبي، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، الطبعة الأولى، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.
- ابن عثيمين. محمد بن صالح، **شرح رياض الصالحين**، الطبعة الأولى، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦هـ.
- ابن منظور. محمد بن علي بن مكرم، **لسان العرب**، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، **سنن أبي داود**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى، دار الرسالة العالمية، بيروت، ٢٠٠٩.

- أبو يوسف. يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، **كتاب الآثار**، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٥٥هـ.
- الأصفهاني، الحسين بن محمد (الراغب الأصفهاني)، **المفردات في غريب القرآن**، الطبعة الأولى، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت. دار هجر، الرياض، ١٤١٢هـ.
- الألوسي. شهاب الدين محمود بن عبد الله، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥.
- الأماسي. محمد بن قاسم بن يعقوب ابن الخطيب قاسم، **روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار**، الطبعة الأولى، دار القلم العربي، حلب، ١٤٢٣هـ.
- باحبيشي. حسن بن عبيد، **الشمائل الشريفة مستل من فيض القدير للمناوي**، الطبعة الأولى، دار طائر العلم، المدينة المنورة، ١٩٩١.
- البخاري. محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري** (الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، الطبعة الأولى، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، القاهرة، ١٤٢٢هـ.
- البسناسي، سعاد، **التحولات الصوتية والدلالية في المباني التركيبية**. عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠١٢.
- الترمذي، محمد بن عيسى، **سنن الترمذيّ**، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٦.
- الثعالبي، عبد الملك بن محمد أبو منصور، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥.
- جبل. محمد حسن، **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم**، الطبعة الأولى، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٠.
- حوا. سعيد، **الأساس في التفسير**، الطبعة السادسة، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٤هـ.
- الخوارزمي، محمد بن العباس، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، الطبعة الأولى، المكتبة العنصرية، بيروت، ١٤١٨هـ.
- الدسوقي، محمد بن عرفة، **حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٢ هـ)**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٧م،
- الدهشان، عبد الكريم حمدي، أبو ناصر، وجملات عيد، دلالة الألوان في السياق القرآني دراسة

قرآنية موضوعية، **مجلة الجامعة للدراسات الإسلامية (عقيدة-تفسير-حديث)**، مجلد٢٨، عدد١، ص٥٤-٧٤).

- الراجحي، عبد العزيز بن عبد الله، **توفيق الرب المنعم بشرح صحيح الإمام مسلم**، الطبعة الأولى، مركز عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، الرياض، ٢٠١٨.
- الرحيلي. عبد الله بن ضيف الله، **طريقك إلى الإخلاص والفقه في الدين**، الطبعة الأولى، دار الأندلس الخضراء، جدة، ٢٠٠١.
- السفاريني، محمد بن أحمد بن سالم. (٢٠٠٧). **كشف اللثام شرح عمدة الأحكام**، الطبعة الأولى، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ٢٠٠٧.
- السهارنفوري، خليل أحمد، **بذل المجهود في حل سنن أبي داود**، الطبعة الأولى، مركز الشيخ خليل الندوي، الهند، ٢٠٠٦.
- الشافعي، محمد بن إدريس بن العباس المطلبي، **مسند الإمام الشافعي**، ترتيب محمد بن عابد السندي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥١م.
- الشوكاني. محمد بن علي، **فتح القدير**، الطبعة الأولى، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، سوريا، بيروت، ١٤١٤هـ.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد اليمني، **نيل الأوطار**، تحقيق: عصام الدين الصبابصي، الطبعة الأولى، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٣م.
- صالح، ضاري مظهر، **دلالة اللون في القرآن والفكر الصوفي**، دار الزمان، دمشق، ط١، ٢٠١٢م.
- صهيب عبد الجبار، **المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة**، موقع المكتبة الشاملة، منشور عام النشر: ٢٠١٣م، تاريخ النشر في الشاملة: ٩ ذو القعدة ١٤٣٥هـ.
- الطبراني، سليمان بن أحمد اللخمي، **المعجم الكبير**، الطبعة الأولى، دار الصميعي، الرياض، ١٩٩٤.
- الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، دار هجر، الرياض، ٢٠٠١.
- عابدين، عليه أحمد، **دراسات في سيكلوجية الملابس**، الطبعة الأولى، دار المسيرة، عمان، ٢٠٠٨.

- العراقي، عبد الرحيم بن الحسين، زين الدين، **طرح التثريب في شرح التقريب**، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، **التَّلْخِيص في مَعرفَةِ أسمَاءِ الأشياء**، الطبعة الثانية، دار طلاس، دمشق، ١٩٩٦.
- عمرون محمد عبد العزيز، **اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية**، الطبعة الأولى، دار النفائس، عمان، ٢٠٠٩.
- العينين بدر الدين محمود بن أحمد، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، دار الفكر، بيروت، (د.ت)
- فراتاما، رحمة، **معنى لفظ لباس في القرآن (دراسة دلالية)**، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وأدبها كلية العلوم والإنسانية، جامعة مولانا مالك إبراهيم الحكومية الإسلامية مالانج، ٢٠١٩،
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **كتاب العين**، الطبعة الأولى، دار ومكتبة الهلال، الرياض، ١٩٨٥.
- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤.
- القنوجي، محمد صديق خان، **حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة**، (تحقيق: د مصطفى الخن – ومحي الدين مستو، الطبعة الثانية، ١٩٨١م، مؤسسة الرسالة – بيروت، ص٢٩٣.
- كارليل، توماس، **فلسفة الملابس**. ترجمة: طه السباعي. مطبعة البشلاوي، القاهرة، ٢٠٠١.
- الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥.
- المباركفوري، عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٢.
- المرازقة، نجاح عبد الرحمن، **اللون ودلالاته في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، الكرك، ٢٠١٠م.

- المرازقة، نجاح عبد الرحمن، **اللون ودلالته في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير: جامعة مؤتة، ٢٠١٠م.
- مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، **صحيح مسلم**، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٥.
- مطاوع، حنان عبد الفتاح، الألوان ودلالتها في الحضارة الإسلامية مع تطبيق على نماذج من المخطوطات العربية: **مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب**، المجلد ١٨، العدد ١، ٢٠١٦م، ص٤١٨-٤٥٠.
- المطيري، منصور زويد، **الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع الدواعي والإمكانات**، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-قطر، يناير١٩٩٣م.
- مقبول، إدريس، **الأفق التداولي نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية**، عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠١٠.
- ملا علي القاري، علي بن سلطان محمد. (٢٠١٩). **جمع الوسائل في شرح الشمائل**، الطبعة الأولى، المطبعة الشرفية، مصر، (د.ت).
- المنصوري، بشير سعيد سهر، **ألفاظ اللباس في القرآن الكريم دراسة لغوية معجمية**، مجلة آداب البصرة/العدد (٤٧) سنة: ٢٠٠٨، ص٧١-١٠٢)،
- الميداني، محمد محيي الدين حمادة الغنيمي، **الركن الخامس**، دار اقرأ للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق- سوريا، ١٤٤١هـ. ص١٣٨.
- نكري، عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد، **دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون)**، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠.
- نهر، هادي، **علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي**، الطبعة الأولى، عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠١١.
- الهروي، أحمد بن محمد، **الغريبين في القرآن والحديث**. مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، ١٩٩٩.
- الهيتمي، أحمد بن محمد بن علي بن حجر، **أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل**. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.
- الهيثمي، علي بن أبي بكر بن سليمان، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**. مكتبة القدسي، القاهرة، ١٩٩٤.

الهوامش:

(١) يقصد بالدلالة الرأسية: كل ما يتعلّق باللفظ المفرد، من حيث بناؤه، مثل دلالة الفعل على زمن الحدث، والصدر على ثباته، وكذلك دلالة الفعل المجرّد والمزيد، وأيضًا دلالة الأوزان الصرفية له، وما إلى ذلك من قضايا التشابه اللفظي..الخ، ينظر: نهر، هادي، **علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي**، الطبعة الأولى، عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠١١، ص٥٦-٧٦.

(٢) الدلالة الأفقيّة: هي ما يحصل للمفردة بعد وضعها في جملة، من تقديم وتأخير، وتعريف وتنكير، وتأكيد وعدمه، وما إلى ذلك مما يندرج تحت (علم المعاني)، وهذا هو الذي تظهر فيه الدلالة على أكمل وجه، ينظر: هادي نهر، **علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي**، ص٧٩-٩٨؛ مقبول، إدريس، **الأفق التداولي نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية**، الطبعة الأولى، عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠١٠، ص١٤٧-١٧٥.

(٣) معنى دلالة المطابقة: أنّ اللفظ يدلّ على شيء معيّن عند التلفظ به، دون الحاجة إلى قرينة خارجية، وإذا دلت على جزء منه كانت الدلالة: دلالة تضمين، وإذا فهمت من خلالهما، قيل لها: دلالة التزام، أي أنها ملازمة لدلالة المطابقة أو التضمين (ينظر: الدسوقي، محمد بن عرفة، **حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٢ هـ)**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٧م، ص١٢-٣٦). فمثلا عندما نقول: جاء محمد، دلالة المطابقة أن هذا الفعل حصل من محمد لا غيره، وتضمّن أنّ محمد لم يكن موجودا قبل وقت المجيء، ويلزم منه أنّ محمدًا حيٌّ.

(٤) أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، **سنن أبي داود**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، كتاب اللباس، باب في وله: {وليضربن بخمرهنّ على جيوبهن}، الطبعة الأولى، دار الرسالة العالمية، بيروت، ٢٠٠٩، حديث: ٤١٠١، قال الأرنؤوط: إسناده قوي، ج٦، ص١٩٧.

(٥) ابن حنبل، أحمد بن حنبل الشيباني، **مسند الإمام أحمد**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م، حديث: ٢٥٠٠٤، قال المحقق: صحيح الإسناد، ج٤١، ص٤٦٤.

(٦) مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، **صحيح مسلم**، (١٩٥٥م)، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر، وعلامات الساعة، حديث١، ج١، ص٣٧.

(٧) البخاري. محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري** (الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، (١٤٢٢هـ)، الطبعة الأولى، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، القاهرة، كتاب اللباس، باب يلبس أحسن ما يجد، ح٨٨٦، ج٢، ص٤، وباب التجمل للوفود، ح٣٠٥٤، ج٤، ص٧٠.

(٨) ابن حنبل، **مرجع سابق**، حديث: ٢١٧٨٨، قال المحقق: حديث محتمل للتحسين، ج ٣٦، ص١٢٠.

(٩) الترمذي. محمد بن عيسى، **سنن الترمذيّ**، (١٩٩٦م)، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، أبواب المناقب، باب مناقب أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب والحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، حديث٣٧٧٤، قال الترمذي: هذا حديث حسن، ج٦، ص١٢٢.

(١٠) ابن عبد البر، **الاستذكار**، كتاب اللباس، باب ما يكره للنساء من لبس الثياب، حديث ١٦٩٠، ٣٠٦/٨.

(١١) البخاري، **مرجع سابق**، كتاب المغازي، باب- بلا ترجمة-، حديث ٤٣٠٢، ج٥، ص١٥٠.

(١٢) المرجع السابق، كتاب الجمعة، باب يلبس أحسن ما يجد، حديث٨٨٦، ج٢ /ص٤.

(١٣) المرجع السابق، كتاب الصوم، بَابُ مَنْ أَقْسَمَ عَلَى أَخِيهِ لِيُفْطِرَ فِي التَّطَوُّعِ، وَلَمْ يَرَ عَلَيْهِ قَضَاءً إِذَا كَانَ أَوْفَقَ لَهُ ح ١٩٦٨، ٣٨/٣، كتاب الأدب، باب صُنْعِ الطَّعَامِ وَالتَّكَلُّفِ لِلضَّيْفِ، حديث ٦١٣٩، ج٨، ص٣٢.

(١٤) مسلم، **مرجع سابق**، كتاب الإيمان، باب بَابُ بَيَانِ غِلَظِ تَحْرِيمِ إِسْبَالِ الْإِزَارِ، وَالْمَنِّ بِالْعَطِيَّةِ، وَتَنْفِيقِ السِّلْعَةِ بِالْحَلِفِ، وَبَيَانِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، حديث١٠٧، ج١، ص١٠٢.

(١٥) المرجع السابق، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر، حديث ٢٧، ٢٨، ج٣، ص١٦٤٧.

(١٦) ينظر: الهيتمي، أحمد بن محمد بن علي بن حجر، **أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل**. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨، ص١٢٣ -١٩٠؛ ملا علي القاري. علي بن سلطان محمد. (٢٠١٩). **جمع الوسائل في شرح الشمائل**، الطبعة الأولى، المطبعة الشرفية، مصر، (د.ت)، ١٠٦/١-١٧٣؛ باحبيشي. حسن بن عبيد، **الشمائل الشريفة مستل من فيض القدير للمناوي**، الطبعة الأولى، دار طائر العلم، المدينة المنورة، ١٩٩١، ص٣٦٥ -٣٦٧.

(١٧) البخاري، **مرجع سابق**، كتاب العلم، باب أثم من كذب على النبي ﷺ، حديث١١٠، ج١، ص٣٣.

(١٨) المرجع السابق، كتاب الحج، باب ما يلبس المحرم من الثياب، ح ١٥٤٣، ج٢، ص١٣٧؛ مسلم، **مرجع سابق** كتاب اللباس، باب النهي عن لبس الرجل الثوبَ المعصفر، حديث٢٧، ج٣، ص١٤٧؛ الشافعي، محمد بن إدريس بن العباس المطلبي، **مسند الإمام الشافعي**، ترتيب محمد بن عابد السندي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥١م، ٣٠٩/١.

(١٩) البخاري، **مرجع سابق**، كتاب جزاء الصيد، باب إذا أهدى للمحرم حمارًا وحشيًّا حيًّا لم يقبل، ح١٨٢٥، ١٣/٣؛ مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب تحريم الصيد للمحرم، حديث ٥٠، ج٢، ص٨٥٠.